غنائم الليل

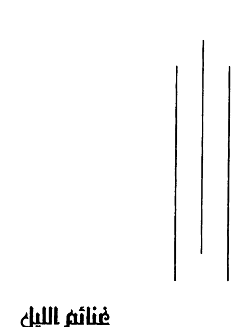
التهجد .. القرآن .. الاستغفار
الدعاء .. الذكر

تأليف
أبو سهل خالد بن رمضان حسن



الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



غنائم الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م



١٠ ش محمود صدقي متفرع من ش الإقبال - لوران - الإسكندرية
محمول ٠١٠٥٤٠٦٤٠٢ / ت. ٠٣٥٨٥٧١٤١ / تلفاكس: ٠٣٢٨٠٩٧١٧
Email: alamia_misr@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ يَا كَرِيم

خطبة الكتاب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد.. فهذه رسالة عظيمة المحتوى؛ إذ تضم بين دفتيها جملة أدلة على عبادات جليلة القَدْر، عظيمة الأجر، غزيرة الثواب، ألا وإنها عبادات السر، وزينة الإخلاص، ألا وإنها: عبادات الليل... تلك العبادات التي غفلنا أو تغافلنا عن عظيم مكانتها.. وذلك الوقت الذي فاتنا اغتنامه، واقتناص فضله، والتعرض لنفحاته، فتخلفت عنا غنائمه، وتأخرت عنا فضائله.

ومن ثَمَّ أردتها تذكرة لي، ولغيري من إخواني، عساها تشحذ من هممنا، وتشد من عضدنا، وتحثنا على اغتنامها، وعدم تضييعها في تلك الأوقات. والله تعالى وحده المستعان، وعليه التكلان.

وقد سميتُها: **(غنائم الليل)**، وهذه الغنائم الموجودة في هذا الوقت، هي: التهجد.. وقراءة القرآن.. والاستغفار.. والدعاء.. والذكر.

والله تعالى نسأل القبول والنفع؛ إنه تعالى على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وصَلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته.

وآخر دعوانا، أنِ الحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو سهل خالد السويفي السلفي

الغنيمة الأولى

التهجد.. أو قيام الليل

أول ما نتكلم عنه من غنائم الليل: صلاة التهجد . . أو قيام الليل ، فنذكر أولاً معناه؛ ليستبين مبناه . .

التهجد مصدر لمادة (هَجَدَ) .

▪ قال في (مختار الصِّحاح): «هَجَدَ: من باب دخل. وتَهَجَّدَ: نام ليلا . . و هَجَدَ وتهَجَّدَ: سهِر. وهو من الأضداد؛ ومنه قيل لصلاة الليل التَّهَجُّد. والتَّهْجِيدُ: التنويم» اهـ .

▪ وفي (لسان العرب): «هجد ، يهجد ، هجوداً ، وأهجد: نام .

وهجد القوم هجوداً: ناموا .

والهاجد: النائم.

والهاجد والهَجُود: المصلي بالليل، والجمع هجود وهجد..

وتهجد القوم: استيقظوا للصلاة أو غيرها.

وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ (الإسراء: ٧٩).

الجوهري: هجد وتهجد أي نام ليلاً. وهجد وتهجد أي سهر، وهو من الأضداد؛ ومنه قيل لصلاة الليل: التهجد.

والتهجيد: التنويم.

ابن بزرج: أهجدت الرجل أنمته، وهجدته أيقظته.

وقال غيره: هجدت الرجل أنمته، وأهجدته: وجدته نائماً.

ابن الأعرابي: هجد الرجل إذا صلى بالليل، وهجد إذا نام بالليل.

وقال غيره: وهجد إذا نام، وذلك كله في آخر الليل.

قال الأزهري: والمعروف في كلام العرب أن الهاجد هو النائم. وهجد هجوداً إذا نام.

وأما المتهجِّد، فهو القائم إلى الصلاة من النوم، وكأنه قيل له متهجد لإلقائه الهجود عن نفسه، كما يقال للعابد متحنِّث لإلقائه الحنث عن نفسه.

وفي حديث يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ فنظر إلى متهجدي بيت المقدس. أي: المصلين بالليل.

يقال: «تهجدت إذا سهرت وإذا نمت، وهو من الأضداد».

■ وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - في (تفسيره): «قال الأزهري: الهجود في الأصل هو النوم بالليل، ولكن جاء التفعل فيه لأجل التجنب؛ ومنه تأثم وتحرج: أي تجنب الإثم والحرج، فالمتهجد من تجنب الهجود، فقام بالليل». وروي عن الأزهري أيضاً أنه قال: المتهجد القائم إلى الصلاة من النوم. هكذا حكى عنه الواحدي، فقيد التهجد بالقيام من النوم، وهكذا قال مجاهد وعلقمة والأسود فقالوا: التهجد بعد النوم. قال الليث: تهجد إذا استيقظ للصلاة» اهـ.

■ وقال البغوي - رحمه الله تعالى - في (تفسيره): «قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ (الإسراء: ٧٩)، أي: قم بعد نومك.

والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، يقال: تهجد: إذا قام بعدما نام. وهجد إذا نام. والمراد من الآية: قيام الليل للصلاة» اهـ.

■ وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في (فتح الباري): «قوله: (فتهجد به) أي أسهر بصلاة.

وتفسير التهجد بالسهر معروف في اللغة، وهو من الأضداد؛ يقال تهجد: إذا سهر. . وتهجد: إذا نام. حكاه الجوهري وغيره.

ومنهم من فرق بينهما فقال: هجدت: نمت. . وتهجدت: سهرت. . حكاه أبو عبيدة وصاحب العين.

فعلى هذا أصل الهجود النوم. ومعنى تهجدت طرحت عني النوم.

وقال الطبري: التهجد السهر بعد نومة. ثم ساقه عن جماعة من السلف.

وقال ابن فارس: المتهجد: المصلي ليلا.

وقال كراع: التهجد صلاة الليل خاصة» اهـ.

فضل التهجد والصلاة بالليل

وقد وردت الأدلة متكاثرة متوافرة، في بيان فضل التهجد والصلاة بالليل، فنذكر منها:

١ - أنها أمر الله تعالى لنبيه ﷺ:

▪ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في (تفسيره): «وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾: أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة» اهـ.

■ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (المزمل: ١-٤).

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في (تفسيره): «يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمُّل، وهو التغطي في الليل؛ وينهض إلى القيام لربه ـ عزَّ وجلَّ ـ» اهـ.

٢. أنها سنة النبي ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ: كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا». فَلَمَّا كَثُرَ

لَحْمُه صلَّى جالسًا، فإذا أراد أن يَرْكع قام فَقَرأ ثُمَّ رَكع»[١].

وعن يزيد بن خُمَيْر قال: سمعتُ عبدَ الله بن أبي قَيْسٍ يقول: قالت عائشة ﵂: «لا تَدعْ قيام الليل؛ فإنَّ رسول الله ﷺ كان لا يدعُه، وكان إذا مَرِض أو كَسِل صلَّى قاعدًا»[٢].

فقيام الليل سنة النبي ﷺ، ودأبه.

٣. أن الله تعالى مدح المتهجدين:

▪ قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة:

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود، والحاكم، وانظر «صحيح الجامع الصغير».

قال الحافظ ابن كثير - رحمه اللّه تعالى - في (تفسيره): «يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة. قال مجاهد والحسن في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ يعني بذلك قيام الليل» اهـ.

▪ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (الذاريات: ١-١٧).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في (تفسيره): «يقول تعالى مخبراً عن المتقين للّه - عزّ وجلّ - أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والأغلال . .

وقال الحسن البصري: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: كابدوا قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر؛ حتى كان الاستغفار بِسَحَر.

وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: كانوا لا ينامون إلا قليلاً. ثم يقول: لست من أهل هذه الآية.

وقال الحسن البصري: كان الأحنف ابن قيس يقول: عرضت عملي على عمل أهل الجنة، فإذا قوم قد باينونا بوناً بعيداً، إذا قوم لا نبلغ أعمالهم؛ ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، وعرضت عملي على عمل أهل النار، فإذا قوم لا خير فيهم؛ مكذبون بكتاب الله وبرسل الله، مكذبون بالبعث بعد الموت، فقد وجدت

من خيرنا منزلة قوماً خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئًا .

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قومًا فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ . ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم . فقال له أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طوبى لمن رقد إذا نعس ، واتقى الله إذا استيقظ .

وقال عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه ، فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب ، فكان أول ما سمعته ﷺ يقول: «**يا أيها الناس اطعموا الطعام،**

وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام».

وقال معمر في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: كان الزهري والحسن يقولان: كانوا كثيراً من الليل ما يصلون.

وقال ابن عباس ﷺ وإبراهيم النخعي: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: ما ينامون» اهـ.

■ وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في (تفسيره): «يقول - عزَّ وجلَّ -: أَمَّنْ هذه صفته

كمن أشرك بالله وجعل له أندادًا، لا يستوون عند الله، كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران: ١١٣). وقال تبارك وتعالى ههنا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾، أي في حال سجوده، وفي حال قيامه؛ ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة وليس هو القيام وحده، كما ذهب إليه آخرون.

وقال الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: القانت المطيع لله - عزَّ وجلَّ - ولرسوله ﷺ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والسدي وابن زيد: آناء الليل جوف الليل.

وقال الثوري عن منصور: بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء.

وقال الحسن وقتادة: آناء الليل: أوله وأوسطه وآخره.

وقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾: أي في حال عبادته خائف راجٍ، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب، ولهذا قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾. فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾: أي هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾: أي إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لُبٌّ وهو العقل . والله أعلم» اهـ .

■ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾ (الفرقان: ٦٤) .

قال الإمام البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ في (تفسيره): «يقال لمن أدرك الليل: بات ، نام أو لم ينم ، يقال: بات فلان قلقًا .

والمعنى: يبيتون لربهم بالليل في الصلاة «سجداً» على وجوههم «وقياماً» على أقدامهم .

قال ابن عباس ﷺ: من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً وقائماً» . اهـ .

٤ ـ أنها أفضل الصلاة بعد المكتوبة:

▪ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ، قَالَ: سُئِلَ أَيُّ الصَّلاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ: الصَّلاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ.. وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ: صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ**»[١].

قال العلامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في (فيض القدير): «فهي فيه أفضل منها في النهار؛ لأن الخشوع فيه أوفر لاجتماع القلب، والخلو بالرب. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ (المزمل:٦)، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ (الزمر:٩).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب الصيام»، باب: فضل صوم المحرم.

ولأن الليل وقت السكون والراحة، فإذا صُرِف إلى العبادة، كانت على النفس أشد وأشق، وللبدن أتعب وأنصب، فكانت أدخل في معنى التكليف، وأفضل عند الله، ذكره الزمخشري.

وبالصلاة ليلاً يتوصل إلى صفاء السرور، ودوام الشكر، وهي بعد نوم أفضل.

والمراد بالجوف هنا: السدس الرابع والخامس؛ فهما أكمل من بقيته؛ لأنه الذي واظب عليه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ ولأنه أشق الأوقات استيقاظاً وأحبها راحة، وأولاها لصفاء القلوب: وأقربها إلى الإجابة المعبر عنها في الأحاديث بالنزول» اهـ.

٥. أنها سبب من أسباب دخول الجنة:

▪ عَنْ زُرَارَةَ بنِ أَوْفَى حَدَّثَنِي: عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ؛ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ. ثَلاثًا. فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلامَ.. وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ.. وَصِلُوا الأَرْحَامَ.. وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.. تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ»[1].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجة، والحاكم، وانظر «صحيح الجامع الصغير».

قال في (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي): «لأنه وقت الغفلة، فلأرباب الحضور مزيد المثوبة، أو لبعده عن الرياء والسمعة.

«تدخلوا الجنة بسلام»: أي من الله، أو من ملائكته، من مكروه أو تعب ومشقة».

٦ـ أنها سبب من أسباب نيل درجة عظيمة:

▪ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنْ اللَّيْلِ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ؛ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعاً؛ كُتِبَا مِنْ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ»(١).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود، وابن ماجة، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وانظر «صحيح الجامع الصغير».

قال السندي - رحمه الله تعالى - في (شرح سنن ابن ماجة): «قوله: «إذا استيقظ الرجل»: أي مثلا، وكذا العكس، فلا مفهوم لاسم الرجل؛ والمقصود: إذا استيقظ أحدهما وأيقظ الآخر والله أعلم. بل الظاهر أنه لا مفهوم للشرط أيضا، والمقصود: إنهما إذا صليا من الليل ولو ركعتين كتبا... إلخ. وإنما خرج هذا الشرط مخرج العادة.

وفيه: تنبيه على أن شأن الرجل أن يستيقظ أولاً ويأمر امرأته بالخير.

وفيه: أنه يجوز الإيقاظ للنوافل كما يجوز للفرائض، ولا يخفى تقييده بما إذا علم من حال النائم أنه يفرح بذلك، أو لم يثقل عليه ذلك.

«كُتبا»: أي كتب الرجل في الذاكرين، والمرأة في الذاكرات . . وهذا الحديث تفسير للقرآن» اهـ.

وقال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى - في (الفيض): «وهذا معنى التهجد عرفًا فإنه صلاة تطوع بعد نوم ...

«كُتبا»: أي أمر الله الملائكة بكتابتهما.

«مِنْ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ»: الذين أثنى الله تعالى عليهم في القرآن، ووعدهم بالغفران، أي يلحقان بهم ويبعثان يوم القيامة معهم، ويعطيهما ما وُعدوا به.

و«مِنْ»: تبعيضية، فيفيد أن الذاكرين أصناف، وهذا من تفسير الكتاب بالسنة؛ فإنه

بيان لقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٥).

قال الزمخشري: الذاكرون الله: من لا يكاد يخلو بلسانه أو بقلبه أو بهما عن الذكر والقراءة.

قال الولي العراقي: وقراءة القرآن، والاشتغال بالعلم الشرعي من الذكر» اهـ.

٧. أنها دأب الصالحين:

■ عَنْ بِلالٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»[1].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد، والترمذي، والحاكم، والبيهقي في «السنن»، وانظر «صحيح الجامع».

قال في (تحفة الأحوذي): «قوله: «عليكم بقيام الليل»: أي التهجد فيه.

«فإنه دأب الصالحين»: أي عادتهم وشأنهم. قال الطيبي: الدأب العادة والشأن، وقد يحرك، وأصله من دأب في العمل إذا جد وتعب.

«وإن قيام الليل قربة إلى الله»: أي مما يتقرب به إلى الله تعالى.

«ومنهاة»: مصدر ميمي بمعنى اسم الفاعل أي ناهية. . «عن الإثم»: أي عن ارتكابه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤)، وقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

«وتكفير للسيئات»: أي مكفرة للسيئات وساترة لها.

«ومطردة للداء عن الجسد»: أي طارد ومبعد للداء عن البدن»اهـ.

فصلاة الليل «عادة قديمة، واظب عليها الكُمَّل السابقون، واجتهدوا في إحراز فضلها»(١).

٨ ـ أنها شرف المؤمن:

▪ عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«أتاني جبريل فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت.. وأحبب من شئت فإنك مفارقه.. واعمل ما شئت فإنك مجزي به.. واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل.. وعزه استغناؤه عن الناس»**(٢).

---

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للعلامة المناوي.
(٢) حديث حسن: أخرجه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وانظر «صحيح الجامع».

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى - في (الفيض): «أي عُلاه ورفعته إحياء الليل بدوام التهجد فيه، والذكر والتلاوة، وهذا بيان لشيء من العمل المشار إليه بقوله: اعمل ما شئت» اهـ.

٩. أنها من الدرجات:

■ عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«ثلاث مُهلكات، وثلاث مُنجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات.**

فأما المهلكات: فَشُحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، و خشية الله تعالى في السر والعلانية.

وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات.

وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[١].

فجعل ﷺ الصلاة بالليل من الدرجات.

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى - في (الفيض): «أي التهجد في جوف الليل حال غفلة الناس، واستغراقهم في لذة النوم، وذلك هو وقت الصفاء، وتنزلات غيث الرحمة، وإشراق الأنوار» اهـ.

---

(١) حديث حسن: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» وانظر «صحيح الجامع».

١٠- أنها سبب من أسباب النجاة من النار:

■ عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكُنْتُ غُلامًا شَابًّا ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي؛ فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ؛ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ النَّارِ . قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ . فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ؛ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ

عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ». فَكَانَ بَعْدُ لا يَنَامُ مِنْ اللَّيْلِ إِلا قَلِيلاً»[1].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في (الفتح): «قال القرطبي: إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح؛ لأنه عرض على النار، ثم عوفي منها، وقيل له: لا روع عليك؛ وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل، فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل بما يتقى به النار والدنو منها؛ فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك» اهـ.

---

(١) حديث حسن: أخرجه البخاري في «كتاب الجمعة» «باب فضل قيام الليل».

وقت التهجد، وأفضل أوقاته

ووقت التهجد بالليل هو وقت استيقاظه من النوم؛ فإن هذا من معاني التهجد، ـ الاستيقاظ من نوم ـ ولكن أفضل وقت لقيامه ما ورد:

■ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عليه السلام، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ.. وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ.. وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا»(١).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في (الفتح): «قال المهلب: كان داود عليه السلام يجم

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجمعة» «باب من نام عند السحر»

نفسه بنوم أول الليل ، ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه: هل من سائل فأعطيه سؤله ، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل . وهذا هو النوم عند السحر كما ترجم به المصنف .

وإنما صارت هذه الطريقة أحب: من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشى منها السآمة ، وقد قال ﷺ: **«إن اللهَ لا يَمَلُّ حتى تملوا»** ، والله أحب أن يديم فضله ويوالي إحسانه ، وإنما كان ذلك أرفق؛ لأن النوم بعد القيام يريح البدن ، ويذهب ضرر السهر ، وذبول الجسم ، بخلاف السهر إلى الصباح .

وفيه من المصلحة أيضًا: استقبال صلاة الصبح ، وأذكار النهار بنشاط وإقبال ، وأنه أقرب إلى عدم الرياء؛ لأن من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون ، سليم القوى ، فهو أقرب إلى أن يخفي عمله الماضي على من يراه . أشار إلى ذلك ابن دقيق العيد .

وحكي عن قوم أن معنى قوله: «أحب الصلاة»: هو بالنسبة إلى من حاله مثل حال المخاطب بذلك ، وهو من يشق عليه قيام أكثر الليل . قال: وعمدة هذا القائل اقتضاء القاعدة: زيادة الأجر بسبب زيادة العمل . لكن يعارضه هنا اقتضاء العادة والجبلة التقصير في حقوق يعارضها طول القيام ، ومقدار ذلك الفائت مع مقدار الحاصل من القيام غير معلوم لنا .

فـالأولى أن يـجـري الحـديث على ظاهره وعمومه، وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة: فمقدار تأثير كل واحد منهما في الحث أو المنع غير محقق لنا، فالطريق أننا نفوض الأمر إلى صاحب الشرع، ونجري على ما دل عليه اللفظ مع ما ذكرناه من قوة الظاهر هنا. والله أعلم.

تنبيـه: قـال ابن التين: هذا المذكـور إذا أجريناه على ظاهره فهو في حق الأمة، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد أمره الله تعالى بقيام أكثر الليل؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (المزمل:١-٢) انتهى. وفيه نظر لأن هذا الأمر قد نسخ، وقد تقدم في حديث ابن عباس: «فلما كان نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل» وهو نحو المذكور هنا» اهـ.

■ وعَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ: سَأَلْتُ الأَسْوَدَ بن يَزِيدَ عَمَّا حَدَّثَتْهُ عَائِشَةُ عَنْ صَلاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيُحيي آخِرَهُ، ثُمَّ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَهْلِهِ قَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ يَنَامُ، فَإِذَا كَانَ عِندَ النِّدَاءِ الأَوَّلِ قَالَتْ: وَثَبَ. وَلا وَاللَّهِ مَا قَالَتْ قَامَ فَأَفَاضَ عَلَيْهِ المَاءَ. وَلا وَاللَّهِ مَا قَالَتْ اغْتَسَلَ. وَأَنَا أَعْلَمُ مَا تُرِيدُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جُنُبًا تَوَضَّأَ وُضُوءَ الرَّجُلِ لِلصَّلاةِ ثُمَّ صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ»[1].

قال السندي ـ رحمه الله ـ في (شرح سنن ابن ماجة): «قولها: «ويحيي آخره»: من

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» «باب صلاة الليل، وعدد ركعات النبي في الليل»، وابن ماجة.

الإحياء، وإحياء الليل تعميره بالعبادة، وجعله من الحياة على تشبيه النوم بالموت وضده بالحياة لا يخلو عن سوء أدب» اهـ.

▪ وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**أفضل الساعات: جوف الليل الأخير**»[1].

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى - في (فيض القدير): «أي ثلثه الآخر، وهو الجزء الخامس من أسداس الليل؛ كما في النهاية، وفي القاموس: جوف الليل الآخر: ثلثه الأخير، ولو حذف ذكر «الآخر» لكان جوف الليل وسطه، وليس مراداً.

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، وانظر «صحيح الجامع».

قال بعض العارفين: فيناجي المصلي ربه في تلك الساعة بما يعطيه عالم الغيب والشهادة والعقل والفكر من الأدلة والبراهين عليه سبحانه، وهو خصوص دلالة بخصوص معرفة يعرفها أهل الليل، وهي صلاة المحبين من أهل الأسرار، وغوامض العلوم، المكتنفين بالحجب، فيعطيهم من العلوم ما يليق بهذا الوقت وفي هذا العالم، وهو وقت معارج الأنبياء والرسل والأرواح البشرية لرؤية الآيات الإلهية، والتقريب الروحاني، وهو وقت نزول الحق تقدس من مقام الاستواء إلى السماء الأقرب إلينا؛ للمستغفرين والتائبين والسائلين والداعين؛ فهو وقت شريف، وخرج بالليل النهار، فأفضل ساعاته للتعبد فيه أوله» اهـ.

عدد الصلاة بالليل وكيفيتها

وأما عن عدد ركعات الصلاة بالليل، وكيفية ذلك:

▪ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، مِنْهَا الوِتْرُ وَرَكْعَتَا الفَجْرِ»(١).

▪ وعَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى.. فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»(٢).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجمعة» «باب كيف كان صلاة النبي ﷺ...».

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في (الفتح): «وقد تبين من الجواب أن السؤال وقع عن عددها أو عن الفصل والوصل، وفي رواية محمد بن نصر من طريق أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: «قال رجل: يا رسول الله كيف تأمرنا أن نصلي من الليل؟»».

وأما قول ابن بزيزة جوابه بقوله مثنى يدل على أنه فهم من السائل طلب كيفية العدد لا مطلق الكيفية ففيه نظر؛ وأولى ما فسر به الحديث من الحديث، واستدل بمفهومه على أن الأفضل في صلاة النهار أن تكون أربعا وهو عن الحنفية وإسحاق، وتعقب بأنه مفهوم لقب وليس بحجة على الراجح، وعلى تقدير الأخذ به فليس بمنحصر في أربع، وبأنه خرج جوابًا

للسؤال عن صلاة الليل؛ فقيد الجواب بذلك مطابقة للسؤال، وبأنه قد تبين عن رواية أخرى أن حكم المسكوت عنه حكم المنطوق به؛ ففي السنن وصححه ابن خزيمة وغيره من طريق علي الأزدي، عن ابن عمر مرفوعًا: **«صلاة الليل والنهار مثنى مثنى»**. وقد تعقب هذا الأخير بأن أكثر أئمة الحديث أعلوا هذه الزيادة، وهي قوله: «والنهار» بأن الحفاظ من أصحاب ابن عمر لم يذكروها عنه، وحكم النسائي على راويها بأنه أخطأ فيها، وقال يحيى بن معين: عن علي الأزدي حتى أقبل منه؟ وادعى يحيى بن سعيد الأنصاري عن نافع أن ابن عمر كان يتطوع بالنهار أربعًا لا يفصل بينهن، ولو كان حديث الأزدي صحيحا لما

خالفه ابن عمر ، يعني مع شدة اتباعه ، رواه عنه محمد بن نصر في سؤالاته ، لكن روى ابن وهب بإسناد قوي عن ابن عمر قال: «**صلاة الليل والنهار مثنى مثنى**» موقوف ، أخرجه ابن عبد البر من طريقه ، فلعل الأزدي اختلط عليه الموقوف بالمرفوع؛ فلا تكون هذه الزيادة صحيحة على طريقة من يشترط في الصحيح أن لا يكون شاذا ، وقد روى ابن أبي شيبة عن وجه آخر عن ابن عمر أنه كان يصلي بالنهار أربعًا أربعا ، وهذا موافق لما نقله ابن معين .

قوله ﷺ: «**مثنى مثنى**»: أي اثنين اثنين ، وهو غير منصرف لتكرار العدل فيه . قاله صاحب الكشاف . وقال آخرون: للعدل والوصف .

وأما إعادة مثنى فللمبالغة في التأكيد، وقد فسره ابن عمر راوي الحديث؛ فعند مسلم عن طريق عقبة بن حريث قال: قلت لابن عمر: ما معني «مثنى مثنى؟»، قال: تسلم من كل ركعتين. وفيه رد على من زعم من الحنفية أن معنى مثنى أن تتشهد بين كل ركعتين؛ لأن راوي الحديث أعلم بالمراد به، وما فسره به هو المتبادر إلى الفهم؛ لأنه لا يقال في الرباعية مثلا إنها مثنى، واستدل بهذا على تعين الفصل بين كل ركعتين من صلاة الليل.

قال ابن دقيق العيد: وهو ظاهر السياق لحصر المبتدأ في الخبر. وحمله الجمهور على أنه لبيان الأفضل لما صح من فعله ﷺ بخلافه، ولم يتعين أيضا كونه لذلك، بل يحتمل أن يكون للإرشاد إلى الأخف؛ إذ السلام بين كل

ركعتين أخف على المصلي من الأربع فما فوقها؛ لما فيه من الراحة غالبا وقضاء ما يعرض من أمر مهم، ولو كان الوصل لبيان الجواز فقط لم يواظب عليه ﷺ، ومن ادعى اختصاصه به فعليه البيان، وقد صح عنه ﷺ الفصل، كما صح عنه الوصل، فعند أبي داود ومحمد بن نصر من طريقي الأوزاعي وابن أبي ذئب كلاهما عن الزهري عن عروة عن عائشة: **«أن النبي ﷺ كان يصلي ما بين أن يفرغ من العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين»**، وإسنادهما على شرط الشيخين، واستدل به أيضا على عدم النقصان عن ركعتين في النافلة ما عدا الوتر» اهـ.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في (شرح صحيح مسلم): قوله ﷺ: **«صلاة الليل**

مثنى مثنى»: هكذا هو في صحيح البخاري ومسلم، وروى أبو داود والترمذي بالإسناد الصحيح: **«صلاة الليل والنهار مثنى مثنى»**، هذا الحديث محمول على بيان الأفضل، وهو أن يسلم من كل ركعتين، وسواء نوافل الليل والنهار يستحب أن يسلم من كل ركعتين، فلو جمع ركعات بتسليمة، أو تطوع بركعة واحدة: جاز عندنا.

قوله ﷺ: **«فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة توتر له ما قد صلى»:** وفي الحديث الآخر: **«أوتروا قبل الصبح»:** هذا دليل على أن السنة جعل الوتر آخر صلاة الليل، وعلى أن وقته يخرج بطلوع الفجر، وهو المشهور من مذهبنا، وبه قال جمهور العلماء، وقيل: يمتد بعد الفجر حتى يصلي الفرض» اهـ.

■ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ»(١).

■ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي: افْتَتَحَ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ»(٢).

■ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَرْمُقَنَّ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللَّيْلَةَ: فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» «باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ».

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» «باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه».

خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، طَوِيلَتَيْنِ، طَوِيلَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ أَوْتَرَ، فَذَلِكَ ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً»[1].

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في (شرح صحيح مسلم): «هذا دليل على استحبابه؛ لينشط بهما لما بعدهما» اهـ.

▪ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ: يَرْفَعُ طَوْرًا، وَيَخْفِضُ طَوْرًا»[2].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» «باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه».

(٢) حديث حسن: أخرجه أبو داود، وانظر «صحيح الجامع».

قال في (عون المعبود شرح سنن أبي داود):

«**يرفع**»: أي صوته رفعا متوسطا . . «**طوراً**»: أي مرة أو حالة إن كان خاليًا . . «**ويخفض طوراً**»: إن كان هناك نائم ، أو بحسب حاله المناسب لكل منهما» اهـ.

وقال العلامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في (الفيض): «وقال ابن جرير: فيه أنه لا بأس في إظهار العمل للناس؛ لمن أمن على نفسه خطرات الشيطان والرياء والإعجاب» اهـ.

— •◆• —

آداب التهجد، والصلاة بالليل

ولقيام الليل والتهجد آداب، ينبغي مراعاتها، وهي:

١ـ الدعاء والذكر المأثور عن النبي ﷺ:

(أ) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.. الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي.. أَوْ دَعَا: اسْتُجِيبَ لَهُ.. فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ» (رواه البخاري).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في (الفتح): «قال في المُحْكَم: تعار الظليم معارة:

صاح، والتعار أيضا: السهر والتمطي والتقلب على الفراش ليلا مع كلام.

وقال ثعلب: اختلف في تعار فقيل: انتبه.. وقيل: تكلم.. وقيل: علم.. وقيل: تمطى وأنَّ.

وقال الأكثر: التعار: اليقظة مع صوت.

وقال ابن التين: ظاهر الحديث أن معنى تعار استيقظ لأنه قال: **«من تعار فقال»** فعطف القول على التعار. انتهى.

ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لما صَوَّت به المستيقظ؛ لأنه قد يصوت بغير ذكر؛ فخص الفضل المذكور بمن صوت بما ذكر من ذكر الله تعالى، وهذا هو السر في اختيار لفظ تعار دون استيقظ أو انتبه، وإنما يتفق ذلك لمن

تعود الذكر واستأنس به وغلب عليه حتى صار حديث نفسه في نومه ويقظته؛ فأكرم من اتصف بذلك بإجابة دعوته وقبول صلاته» اهـ.

وقال أيضًا: «قال ابن بطال: وعد الله على لسان نبيه: أن من استيقظ من نومه لهجًا لسانه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك، والاعتراف بنعمه يحمده عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه، والخضوع له بالتكبير، والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه: أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قُبلت صلاته.

فينبغي لمن بلغه هذا الحديث: أن يغتنم العمل به، ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى».

فائدة: قال أبو عبد الله الفربري الراوي عن البخاري: أجريت هذا الذكر على لساني عند

انتباهي ، ثم نمت فأتاني آت فقرأ: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (الحج: ٢٤) الآية» اهـ .

(ب) وعن طاوس سمع ابن عباس ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ: أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ..

وَلَكَ الحَمْدُ: لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ..

وَلَكَ الحَمْدُ: أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ..

وَلَكَ الحَمْدُ: أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..

وَلَكَ الحَمْدُ: أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ..

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ..

أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ..

لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ. أَوْ: «لا إِلَهَ غَيْرُكَ» (متفق عليه) .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في (الفتح): «قال الكرماني: هذا الحديث من جوامع الكلم؛ لأن لفظ القيم إشارة إلى أن وجود الجواهر وقوامها منه ، والنور إلى أن الأعراض أيضا منه ، والملك إلى أنه حاكم عليها إيجاداً وإعداماً؛ يفعل ما يشاء ، وكل ذلك من نعم الله على عباده ، فلهذا قرن كلا منها بالحمد وخصص الحمد به . ثم قوله: «انت

الحق»: إشارة إلى المبدأ، والقول ونحوه إلى المعاش، والساعة ونحوها إشارة إلى المعاد، وفيه الإشارة إلى النبوة، وإلى الجزاء ثوابًا وعقابًا، ووجوب الإيمان والإسلام، والتوكل والإنابة والتضرع إلى الله، والخضوع له. انتهى.

وفيه زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته، ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه، والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده» اهـ.

وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في (شرح صحيح مسلم): «ومعنى سؤاله ﷺ المغفرة مع أنه مغفور له: أنه يسأل ذلك تواضعًا وخضوعًا وإشفاقًا وإجلالاً؛ وليقتدى به في أصل الدعاء والخضوع وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين.

وفي هذا الحديث وغيره: مواظبته ﷺ في الليل على الذكر والدعاء، والاعتراف لله تعالى بحقوقه، والإقرار بصدقه ووعده ووعيده، والبعث والجنة والنار، وغير ذلك» اهـ.

٢- التسوُّك:

(أ) عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: **«كَانَ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ مِنْ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ»**[١].

(ب) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: **«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان لا يتعار من الليل إلا أجرى السواك على فيه»**[٢].

قال الحافظ - رحمه الله تعالى - في (الفتح): «قال ابن دقيق العيد: فيه استحباب السواك عند

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) حديث حسن: أخرجه ابن نصر، وانظر «صحيح الجامع».

القيام من النوم؛ لأن النوم مقتضٍ لتغير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة، والسواك آلة تنظيفه فيستحب عند مقتضاه.

قال: وظاهر قوله: «من الليل» عام في كل حالة، ويحتمل أن يخص بما إذا قام إلى الصلاة.

قلت: «ويدل عليه رواية المصنف في الصلاة بلفظ: «إذا قام للتهجد» ولمسلم نحوه، وحديث ابن عباس يشهد له».

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في (شرح صحيح مسلم): «والشوص: دلك الأسنان بالسواك عرضاً. قاله ابن الأعرابي، وإبراهيم الحربي، وأبو سليمان الخطابي، وآخرون. وقيل: هو الغسل. قاله الهروي

وغيره. وقيل: التنقية. قاله أبو عبيد والداودي، وقيل: هو الحك. قاله أبو عمر بن عبد البر تأوله بعضهم أنه بأصبعه. فهذه أقوال الأئمة فيه، وأكثرها متقاربة، وأظهرها الأول وما في معناه. والله أعلم» اهـ.

(جـ) وعن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«إذا قام أحدكم يصلي من الليل فليَسْتَك؛ فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملك فاه على فيه، ولا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم الملك»**[1].

وعَنْ شَقِيقٍ قَالَ: **«كُنَّا نُؤْمَرُ إِذَا قُمْنَا مِنَ اللَّيْلِ أَنْ نَشُوصَ أَفْوَاهَنَا بِالسِّوَاكِ»**[2].

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، وانظر «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه النسائي في «كتاب قيام الليل وتطوع النهار».

(هـ) وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَسْتَاكُ»[1].

قال السندي في (شرح سنن ابن ماجة): «أي بعد الركعتين، لا بعد تمام الصلاة» اهـ.

وقال العلامة المناوي في (الفيض): «قال أبو شامة: يعني وكان يتسوك لكل ركعتين، وفي هذا موافقة لما يفعله كثير في صلاة التروايح وغيرها.

قال العراقي: مقتضاه: أنه لو صلى صلاة ذات تسليمات كالضحى والتراويح؛ يستحب أن يستاك لكل ركعتين. وبه صرح النووي» اهـ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجة، والحاكم، وانظر «صحيح الجامع».

٣. الصَّلاة بنشاط:

■ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ المَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ؛ فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟»، قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ؛ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا، حُلُّوهُ؛ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ؛ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»(١).

■ وعَنْ عَائِشَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ»(٢).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الجمعة» «باب ما يكره من التشديد في العبادة»، ومسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» «باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن...».

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم.

▪ وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم؛ حتى يعلم ما يقرأ»[1] .

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في (شرح صحيح مسلم): «فيه: الحث على الإقبال على الصلاة بخشوع وفراغ قلب ونشاط .

وفيه: أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس ، وهذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار ، وهذا مذهبنا والجمهور ، لكن لا يخرج فريضة عن وقتها .

قال القاضي: وحمله مالك وجماعة على نفل الليل؛ لأنه محل النوم غالبا» اهـ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري في «كتاب الوضوء» «باب الوضوء من النوم . . .» .

■ وعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ؛ فَلْيَضْطَجِعْ**»[١].

فيمن فاته التهجد والصلاة بالليل

(أ) عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا عَبْدَ اللهِ لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**»[٢].

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه مسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» «باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن...». وأحمد، وأبو داود، وابن ماجة.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري في «كتاب الجمعة» «باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه».

قال الحافظ في (الفتح): «قال ابن العربي: في هذا الحديث دليل على أن قيام الليل ليس بواجب؛ إذ لو كان واجبا لم يكتف لتاركه بهذا القدر، بل كان يذمه أبلغ الذم.

وقال ابن حيان: فيه جواز ذكر الشخص بما فيه من عيب إذا قصد بذلك التحذير من صنيعه.

وفيه استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط.

ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة» اهـ.

(ب) وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ خَافَ أَنْ لا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ..**

وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ: فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»[(١)] .

(جـ) وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ»[(٢)] .

(د) وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَبْدٍ القَارِيِّ قَالَ: سَمِعتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» «باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله» .

(٢) حديث حسن: أخرجه النسائي ، وابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم ، وانظر «صحيح الجامع» .

ﷺ: «مَن نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أو عَن شَيءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فيما بَيْنَ صَلاةِ الفجْرِ وصَلاةِ الظُهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأنَّمَا قَرَأَهُ بالليلِ»[(١)].

قال السيوطي - رحمه الله تعالى - في (شرح سنن النسائي): «قوله: «من نام عن حزبه» عن الجزء من القرآن يصلي به.

«فقراه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قراه من الليل»: قال القرطبي: هذا الفضل من الله تعالى وهذه الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذر منعه من القيام، مع أن نيته القيام. قال: وظاهره أن له أجره مكملا مضاعفًا، وذلك لحسن نيته، وصدق تلهفه

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «كتاب صلاة المسافرين وقصرها» «باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض»، وأصحاب السنن.

وتأسفه. وهو قول بعض شيوخنا. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون غير مضاعف؛ إذ التي يصليها أكمل وأفضل والظاهر الأول»اهـ.

الأسباب المُيَسِّرة لقيام الليل

قال أبو حامد الغزَّالي ـ رحمه الله تعالى ـ في (إحياء علوم الدين): «اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق، إلا على من وُفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهراً وباطناً.

فأما الظاهرة: فأربعة أمور:

الأول ـ أن لا يكثر الأكل؛ فيكثر الشرب؛ فيغلبه النوم، ويثقل عليه القيام...

الثاني ـ أن لا يُتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح، وتضعف بها الأعصاب؛ فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم.

الثالث ـ أن لا يترك القيلولة بالنهار؛ فإنها سنة للاستعانة على قيام الليل .

الرابع ـ أن لا يحتقب الأوزار بالنهار؛ فإن ذلك مما يقسي القلب ، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . . .

وأما الميسرات الباطنة، فأربعة أمور:

الأول ـ سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ، وعن البدع ، وعن فضول هموم الدنيا؛ فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام ، وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ، ولا يجول إلا في وساوسه ، وفي ذلك يُقال:

يخبرني البواب انك نائم
وانت إذا استيقظت أيضاً فنائم

الثاني - خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل؛ فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة، ودركات جهنم؛ طار نومه، وعظم حذره. . .

الثالث - أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار؛ حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه؛ فيهيجه الشوق لطلب المزيد، والرغبة في درجات الجنان.

الرابع - وهو أشرف البواعث: الحب لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه، وهو مطلع عليه، مع مشاهدة ما يخطر بقلبه» اهـ.

—— •◆• ——

الغنيمة الثانية

قراءة القرآن الكريم

وهذه غنيمة أخرى من غنائم الليل، ينبغي للمسلم أن لا يُفَوِّتها، وأن يغتنم فضلها، ويُحَصِّل أجرها.

١ ـ فضل قراءة القرآن عمومًا:

الأمر بالتمسك بالقرآن:

▪ عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالجحفة، فخرج علينا فقال: **«أبشروا؛ فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به: فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبدا»**[1].

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، وانظر «صحيح الجامع الصغير».

■ وعن يزيد بن حيان قال: انطلقتُ أنا وحصين بن سبرة، وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً: رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً؛ حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ.
قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيه. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «**أما بعد: ألا أيها الناس فإنما**

أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ: فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟[1].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في «فضائل الصحابة» «باب من فضائل علي بن أبي طالب».

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في (شرح صحيح مسلم): «قوله ﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين» فذكر كتاب الله، وأهل بيته؛ قال العلماء: سُميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما. وقيل: لثقل العمل بهما...

قوله ﷺ: «كتاب الله - عزَّ وجلَّ - هو حبل الله»: قيل المراد بحبل الله عهده. وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته. وقيل: هو نوره الذي يهدي به» اهـ.

٢ - ثواب قراءة القرآن:

ولقراءة القرآن الكريم ثواب وفضل ورد بيانه في الأدلة، فمنها:

▪ عن عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ

فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ».

■ وعن عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اقرءوا القرآن؛ فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن (ألف) عشر، و(لام) عشر، و(ميم) عشر؛ فتلك ثلاثون»** (انظر: «صحيح الجامع»).

■ عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة. ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه. فيقول: اقرأ وارق، ويزاد بكل اية حسنة»** (انظر: «صحيح الجامع»).

■ وعن أبي سعيد قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد. فيقرأ ويصعد لكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه»** (انظر: «صحيح الجامع») .

■ وعن عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها»** (انظر: «صحيح الجامع») .

٣ ـ القرآن شفيعًا:

■ وعن أبي أمامة قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: (البقرة وآل عمران)؛ فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما**

غمامتان أو غيايتان، أو كأنهما فِرْقَانِ من طيرٍ صَوَافَّ، يحاجّان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» (انظر: «صحيح الجامع») .

▪ وعن ابن عمر قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه. يقول القرآن: ربِّ منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه. فيشفعان» (انظر: «صحيح الجامع») .

٤ ـ أهل القرآن هم أهل الله تعالى:

▪ وعن أنس قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» (انظر: «صحيح الجامع») .

▪ وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل القرآن أهل الله وخاصته» (انظر: «صحيح الجامع»).

٥ ـ إجلال الله تعالى لحامل القرآن:

▪ وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم وحاملِ القرآن، غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرامَ ذي السلطان المقسط» (انظر: «صحيح الجامع»).

٦ ـ تلاوة القرآن الكريم وصية رسول الله ﷺ:

▪ وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيك بتقوى الله تعالى: فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد: فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن: فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض» (انظر: «صحيح الجامع»).

٧ ـ القرآن الكريم طريق الجنة:

▪ وعن ابن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه: قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه: ساقه إلى النار» (انظر: «صحيح الجامع»).

٨ ـ مَثَلُ الذي يقرأ القرآن:

▪ وعن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن: كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب.

ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن: كمثل التمرة، طعمها طيب ولا ريح لها.

ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن: كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر.

ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن: كمثل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها.

ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك.

إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه.

ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير.

إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه.

(انظر: «صحيح الجامع») .

٩ - الحسد في القرآن الكريم:

▪ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار.

ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» (انظر: «صحيح الجامع») .

▪ وعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له: فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان؛ فعملت مثل ما يعمل.

ورجل آتاه الله مالاً، فهو يهلكه في الحق؛ فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان؛ فعملت مثل ما يعمل» (انظر: «صحيح الجامع») .

نماذج من القراءة بالليل

▪ قَالَ أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا**

لَقِيَ الخَيْلَ»، أَوْ قَالَ: «العَدُوَّ؛ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ» (متفق عليه).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في (الفتح): «وفيه: أن رفع الصوت بالقرآن بالليل مستحسن، لكن محله إذا لم يؤذ أحدًا، وأمن من الرياء» اهـ.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَدَّهُ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ؛ فَقَالَ: «يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا»، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَرْضَنَا بِهَا شَرَابٌ مِنَ الشَّعِيرِ الْمِزْرُ وَشَرَابٌ مِنَ الْعَسَلِ الْبِتْعُ. فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». فَانْطَلَقَا، فَقَالَ مُعَاذٌ لأَبِي مُوسَى: كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رَاحِلَتِي،

وأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا. قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي. وَضَرَبَ فُسْطَاطًا فَجَعَلا يَتَزَاوَرَانِ فَزَارَ مُعَاذٌ أَبَا مُوسَى فَإِذَا رَجُلٌ مُوثَقٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟! فَقَالَ أَبُومُوسَى يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ، فَقَالَ: مُعَاذٌ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ. (البخاري).

قال الحافظ في (الفتح): «كيف تقرا القرآن؟

قال: اتفوقه تفوقًا»: بالفاء ثم القاف أي ألازم قراءته ليلاً ونهاراً شيئًا بعد شيء وحينًا بعد حين: مأخوذ من فواق الناقة وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتى تدر ثم تحلب هكذا دائمًا.

قوله: «وقد قضيت جزئي»: والمراد به أنه جزأ الليل أجزاء: جزءًا للنوم، وجزءًا للقراءة والقيام.

قوله: «فاحتسبت نومتي كما احتسبت قومتي»: كذا لهم بصيغة الفعل الماضي، وللكشميهني «فأحتسب» بغير المثناة في آخره بصيغة الفعل المضارع. ومعناه: أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب» اهـ.

▪ وعن يَزِيدَ بنِ الْهَادِ؛ أَنَّ عَبْدَاللَّهِ بْنَ خَبَّابٍ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّ أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً؛ قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحيى؛ فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي، فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا

أَرَاهَا. قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي؛ إِذْ جَالَتْ فَرَسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا؛ خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ»**. (مسلم).

من آداب قراءة القرآن بالليل

ولقـــراءة القـــرآن في كـل وقت آداب، وسنذكر هاهنا ما يختص بها من آداب بالليل، ومن ذلك:

الطهارة من الحدثين . الأصغر والأكبر.:

فـإن كـانت الطهـارة من الحدث الأصغـر: فـالوضـوء. وإن كـانت الطهـارة من الحـدث الأكبر: فالاغتسال.

نظافة الثياب المكان:

فينبغي أن تكون الثيـاب نظيفة مُطَيَّبَة، ولابد من أن يكون المكان أيضًا نظيفًا؛ وذلك إجلال وتعظيم لكتاب الله تعالى.

تنظيف الفم بالسواك:

■ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ**» (متفق عليه) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في (الفتح): «قال ابن دقيق العيد: فيه استحباب السواك عند القيام من النوم؛ لأن النوم مقتضٍ لتغير الفم؛ لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة . والسواك آلة تنظيفه؛ فيستحب عند مقتضاه .

قال: وظاهر قوله «**من الليل**» عام في كل حالة ، ويحتمل أن يخص بما إذا قام إلى الصلاة .

قلت: «ويدل عليه رواية المصنف في الصلاة بلفظ «**إذا قام للتهجد**» ولمسلم نحوه ، وحديث ابن عباس يشهد له» اهـ .

■ وعن سمرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**طيبوا أفواهكم بالسواك؛ فإنها طرق القرآن**» (انظر: «صحيح الجامع الصغير»).

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى - في (فيض القدير): «**طيبوا أفواهكم بالسواك**»: أي نقوها ونظفوها، وأحسنوا ريحها بالاستياك، فالمراد: اجعلوها طيبة لا مطيبة.

«**فإن أفواهكم طريق القرآن**»: ومن تعظيمه تطهير مورده» اهـ.

■ وعن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **قام أحدكم يصلي من الليل فليستك؛ فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته؛ وضع مَلَكٌ فاه على فيه، ولا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم الملك**» (انظر: «صحيح الجامع»).

الغنيمة الثالثة

الاستغفار

وهذه غنيمة أخرى من غنائم الليل ، وهي الاستغفار بالأسحار .

فضل الاستغفار عموماً:

إن للاستغفار عموماً فضلاً معلوماً .

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد:١٩) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في (مجموع الفتاوى): «الاسْتِغْفَارُ يُخْرِجُ الْعَبْدَ مِنْ الْفِعْلِ الْمَكْرُوهِ. إِلَى الْفِعْلِ الْمَحْبُوبِ ، مِنْ الْعَمَلِ النَّاقِصِ إِلَى الْعَمَلِ التَّامِّ ،

وَيَرْفَعُ الْعَبْدَ مِنَ الْمَقَامِ الأَدْنَى إِلَى الأَعْلَى مِنْهُ وَالأَكْمَلِ؛ فَإِنَّ الْعَابِدَ لِلَّهِ وَالْعَارِفَ بِاللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، بَلْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، بَلْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَزْدَادُ عِلْمًا بِاللَّهِ، وَبَصِيرَةً فِي دِينِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ؛ بِحَيْثُ يَجِدُ ذَلِكَ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، وَنَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ، وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَيَرَى تَقْصِيرَهُ فِي حُضُورِ قَلْبِهِ فِي الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ وَإِعْطَائِهَا حَقَّهَا، فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى الاسْتِغْفَارِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ؛ بَلْ هُوَ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ دَائِمًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَحْوَالِ، فِي الغوائب وَالْمَشَاهِدِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَصَالِحِ وَجَلْبِ الْخَيْرَاتِ، وَدَفْعِ الْمَضَرَّاتِ، وَطَلَبِ الزِّيَادَةِ فِي الْقُوَّةِ فِي الأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ الْيَقِينِيَّةِ الإِيمَانِيَّةِ. وَقَدْ ثَبَتَتْ دَائِرَة

الاستغفارِ بين أهلِ التوحيدِ واقترانِها بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، مِنْ أوّلِهم إلى آخرِهم، ومِن آخرِهِمْ إلى أوّلِهِمْ، ومِنَ الأعلى إلى الأدنى.

وشمولِ دائرةِ التوحيدِ والاستغفارِ للخلقِ كلِّهِمْ، وهُمْ فيها درجاتٌ عندَ اللهِ، ولكلِّ عاملٍ مقامٌ معلومٌ.

فشهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ بصدقٍ ويقينٍ؛ تُذهبُ الشركَ كلَّهُ، دقَّهُ وجلَّهُ، خطأَهُ وعمدَهُ، أوّلَهُ وآخرَهُ، سرَّهُ وعلانيتَهُ، وتأتي على جميعِ صفاتِهِ وخفاياهُ ودقائقِهِ.

والاستغفارُ يمحو ما بقيَ مِنْ عثراتِهِ، ويمحو الذنبَ الذي هُوَ مِنْ شُعَبِ الشركِ؛ فإنَّ الذنوبَ كلَّها مِنْ شُعَبِ الشركِ.

فَالتَّوحِيدُ يُذْهِبُ أَصْلَ الشِّرْكِ . وَالاسْتِغْفَارُ يَمْحُو فُرُوعَه .

فَأَبْلَغُ الثَّناءِ قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ. وَأَبْلَغُ الدُّعاءِ قَوْلُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّه .

فَأَمَرَهُ بِالتَّوحِيدِ وَالاسْتِغْفَارِ لِنَفْسِهِ وَلإِخْوانِهِ مِنَ المُؤْمِنِين .

التَّوْبَةُ مِنْ أَعْظَمِ الحَسَنَاتِ ، وَالحَسَنَاتُ كُلُّهَا مَشْرُوطٌ فِيهَا الإِخْلاصُ لِلَّه ، وَمُوافَقَةُ أَمْرِهِ بِاتِّبَاعِ رَسُولِه .

وَالاسْتِغْفَارُ مِنْ أَكْبَرِ الحَسَنَاتِ وَبَابُهُ وَاسِعٌ .

فَمَنْ أَحَسَّ بِتَقْصِيرٍ فِي قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِه ، أَوْ حَالِهِ أَوْ رِزْقِه ، أَوْ تَقَلُّبِ قَلْب: فَعَلَيْهِ بِالتَّوحِيدِ وَالاسْتِغْفَارِ؛ فَفِيهِمَا الشِّفَاءُ إِذَا كَانَا بِصِدْقٍ وَإِخْلاصٍ» اهـ .

وقال - رحمه الله تعالى - في (الحسنة والسيئة): «والمذنِبُ إذا استغفر ربه من ذنبه؛ فقد تأسى بالسعداء من الأنبياء والمؤمنين؛ كآدم عليه السلام وغيره.

وإذا أصر واحتج بالقدر؛ فقد تأسى بالأشقياء؛ كإبليس ومن اتبعه من الغاوين» اهـ.

▪ عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال: **«قال الله تعالى: من علم اني ذو قدرة على مغفرة الذنوب؛ غفرت له و لا ابالي؛ ما لم يشرك بي شيئاً»** (انظر: «صحيح الجامع»).

▪ وعن أبي سعيد رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: **«إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال**

الرب: وعزتي وجلالي لا أزال اغفر لهم ما استغفروني» (انظر: «صحيح الجامع») .

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا؛ لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ: فَيَغْفِرُ لَهُمْ» (مسلم) .

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إِلا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (انظر: «صحيح الجامع») .

فضل الاستغفار بالليل:

قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ (آل عمران:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره: «دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار» اهـ.

وقال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ في (زاد المسير): «وفي معنى استغفارهم قولان:

أحدهما ـ أنه الاستغفار المعروف باللسان. قاله ابن مسعود، والحسن في آخرين.

والثاني ـ أنه الصلاة. قاله مجاهد، وقتادة، والضحاك، ومقاتل في آخرين.

فعلى هذا إنما سُميت الصلاة استغفاراً؛ لأنهم طلبوا بها المغفرة.

فأما السَّحَر: فقال إبراهيم بن السري: السحر: الوقت الذي قبل طلوع الفجر، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر، فوصفهم الله بهذه الطاعات، ثم وصفهم بأنهم لشدة خوفهم يستغفرون» اهـ.

▪ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وأَبِي هُرَيْرَةَ قَالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إنَّ اللهَ يُمْهِلُ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ، هَلْ مِنْ دَاعٍ. حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ»** (مسلم).

▪ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ**

يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَه، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» (مسلم) .

▪ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ؛ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ. فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ»** (مسلم) .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح (صحيح مسلم): «فيه: دليل على امتداد وقت الرحمة واللطف التام إلى إضاءة الفجر .

وفيه: الحث على الدعاء والاستغفار في جميع الوقت المذكور إلى إضاءة الفجر .

وفيه: تنبيه على أن آخر الليل للصلاة والدعاء والاستغفار وغيرها من الطاعات، أفضل من أوله. والله أعلم» اهـ.

فحريٌّ بكل مسلم وقف على هذه الفضائل للاستغفار في الليل، أن لا يحرم نفسه إياها، بل يتعرض لها، ولو أن يتكلف ذلك، فإن الله تعالى فضله عظيم، ومنحه جزيلة.

—•◆•—

الغنيمة الرابعة

الدُّعــاء

وهذه غنيمة أخرى من غنائم الليل، وهي الدعاء.

فضل الدعاء عمومًا:

وفضلُ الدعاء، وعِظَمُ مكانته، غير خافية على أحد؛ إذ قد وضح ذلك أشد الوضوح في كتاب الله تعالى، وفي سنة نبيه ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره: «فأمر تعالى بالدعاء، وخص عليه، وسماه عبادة، ووعد بأن يستجيب لهم» اهـ.

▪ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: **«الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل؛ فعليكم عباد الله بالدعاء»**. (انظر: «صحيح الجامع»).

▪ وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: **«أفضل العبادة الدعاء»** (انظر: «صحيح الجامع»).

▪ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ»** (انظر: «صحيح الجامع»).

▪ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ**

وَالْكَرْبِ؛ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ» (انظر: «صحيح الجامع») .

▪ وعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إلا الدُّعَاءُ، وَلا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إلا الْبِرُّ». (انظر: «صحيح الجامع») .

فضل الدعاء بالليل

▪ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». (مسلم) .

▪ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ

يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ؛ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ» (مسلم).

■ وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «تفتح أبواب السماء نصف الليل؛ فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب اللهُ تعالى له، إلا زانية تسعى بفرجها، أو عشارا» (انظر: «صحيح الجامع»).

■ وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرِ اللهِ

طاهراً، فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» (انظر: «صحيح الجامع»).

ففي هذا أحسن الاغتنام، لمن كان مهموماً أو مكروباً، فليتوجه إلى الله تعالى في هذا الوقت من الليل، بكل ذلٍّ وافتقارٍ وخضوع، وليسأل الله تعالى؛ فإن الله تعالى مُفَرِّجٌ عنه ما به، ومُعْطِيه سؤله، وقاضٍ حاجته.

■ عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً، لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ؛ يَسْأَلُ اللهَ خَيْراً؛ إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» (مسلم).

—— •◆• ——

الغنيمة الخامسة

الذِّكر

وهذه غنيمة أخرى من غنائم الليل، وهي ذكر الله تعالى.

فضل الذِّكر عموماً:

والذكر فضله على العموم عظيم، وأجره جزيل.

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢).

▪ وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ

أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ؛ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» ، قَالُوا: بَلَى . قَالَ: «ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى» (انظر: «صحيح الجامع») .

▪ عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ؛ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ» (انظر: «صحيح الجامع») .

▪ وعَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الْوَرَقِ، فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ؛ فَتَنَاثَرَ الْوَرَقُ؛ فَقَالَ: «إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ، كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» (انظر: «صحيح الجامع») .

■ وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلامِ أرْبَعًا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إلَهَ إلا اللهُ، وَاللهُ أكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ كَتَبَ اللهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أكْبَرُ؛ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ: قَالَ لا إلَهَ إلا اللهُ؛ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ؛ كُتِبَتْ لَهُ ثَلاثُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ ثَلاثُونَ سَيِّئَةً» (انظر: «صحيح الجامع»).

■ وعن أنس؛ أنَّ رسول الله ﷺ أخذ غصنًا فنفضه فلم ينتفض؛ ثم نفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فانتفض؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلا إلَهَ إلا اللهُ، وَاللهُ

أَكْبَرُ؛ تَنْفُضُ الخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا». (انظر: «صحيح الجامع») .

■ وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خذوا جُنَّتكم من النار؛ قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبر؛ فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات، ومعقبات، ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات». (انظر: «صحيح الجامع») .

فضل الذِّكر بالليل

■ عن عَمْرو بنِ عَبَسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ». (انظر: «صحيح الجامع») .

ففي الحديث بيان فضيلة ذكر الله تعالى في جوف الليل .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فهذا آخر ما تيسر جمعه وترتيبه وكتابته ، في بيان ما ينبغي للمسلم أن يغتنمه من أعمال القربات؛ وذلك في جوف الليل؛ حيث التعرض للنفحات والعطيات .

واعلم أنه ليس بالضرورة القيام بكل هذه الأعمال جملةً واحدةً ، إذ الاقتصار على أي منها كافٍ وافٍ - إن شاء الله تعالى - ، وإن كنًّا نقول بأفضلية اجتماعها في حقِّ المتطوع .

واللَّه تعالى نسأل السداد والهدى والتوفيق؛ إنه تعالى نعم المولى ونعم المُعين .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وأمته .

وآخر دعوانا ، أنِ الحمد لله رب العالمين .



الموضــوع — صفحة

الموضــوع صفحة